

بنية الأنساق الثقافية في ديوان "ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية" للشاعر عياش يحيى
The Structure of Cultural Systems in Ayache Yahiaoui's Poetry Collection What the Barefoot Heart Sees in the Time of Shoes

أ.د. يحيى سعدوني
مخبر قضايا الأدب المغربي
جامعة أكلي محند أولحاج / البويرة
(الجزائر)
y.sadouni@univ-bouira.dz

الدراجي عيساوي
مخبر قضايا الأدب المغربي
جامعة أكلي محند أولحاج / البويرة
(الجزائر)
a.darradji@univ-bouira.dz

ملخص:	معلومات المقال
يُعتبر النسق الثقافي من المفاهيم الأساسية التي يركز عليها النقد الثقافي، إذ يمثل شبكة من القيم والمعاني المتوارثة واللاواعية، تلعب هذه الشبكة دوراً في تشكيل عمق النص والتحكم في دلالاته، مُحَوِّلة إياه من موضوع جمالي إلى وثيقة ثقافية تُقرأ قراءة أنثروبولوجية، إذ يصبح النص خطاباً ثقافياً مشبعاً بأنساق متعددة ومضمرة، تتطلب تفكيراً وحلاً لرموزها لفهم الخطاب، وبالتالي فإنّ النص عبارة عن نسق دلالي مركب من منظومات ثقافية متجذرة، تخفي خلفها تمثيلات اجتماعية ومعرفية وإيديولوجية، يتم تفسيرها في إطار اللاوعي الجمعي. يسعى هذا البحث إلى الكشف عن البنى النسقية المضمرة، والأنماط الثقافية الخفية التي تعكسها النصوص الأدبية، من خلال ديوان "ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية" لعياش يحيى، ومن أهم ما خلص إليه البحث ما يلي: يُعتبر توظيف الأنساق الثقافية في الشعر الجزائري فعل مقاومة، سواء في تفكيك السلطة الرمزية أو فضح التمثيلات الطبقية، أو إعادة الاعتبار للمهمشين.	تاريخ الارسال: 2026/04/12 تاريخ النشر: 2026-06-12
	الكلمات المفتاحية: ✓ النسق الثقافي ✓ البنى النسقية ✓ الشعر ✓ المضمرة ✓ اللاوعي الجمعي
Abstract :	Article info

The cultural system constitutes a foundational concept in cultural criticism, representing a network of inherited, often unconscious values and meanings. This network plays a pivotal role in shaping textual depth and governing signification, transforming the literary work from a purely aesthetic object into a cultural document amenable to anthropological reading. Within this framework, the text emerges as a cultural discourse saturated with multiple implicit systems that require deconstruction and symbolic decoding to apprehend its underlying logic. Consequently, the text functions as a complex semantic architecture composed of deeply embedded cultural matrices, which conceal social, epistemic, and ideological representations interpretable within the framework of the collective unconscious.

*This study examines the latent systemic structures and hidden cultural patterns reflected in Ayache Yahiaoui's poetry collection *What the Barefoot Heart Sees in the Time of Shoes*. Employing an analytical-interpretive methodology that integrates close reading and cultural hermeneutics, the research decodes the symbolic configurations operative within the poetic text. The findings indicate that the strategic deployment of cultural systems in Algerian poetry functions as an act of resistance, whether through dismantling symbolic authority, exposing class-based representations, or reaffirming the recognition of marginalized voices.*

Keywords:

- ✓ cultural system
- ✓ systemic structures
- ✓ poetry
- ✓ the implicit
- ✓ collective unconscious

1

- مقدمة:

يهتم النقد الثقافي بالنصوص الأدبية التي تستكشف الأنساق الثقافية التي تتضمنها، إذ يعتبر وراء كل نص جمالي نسق غير معلن، قد يكون أحياناً مخالفاً للجمالي، يهدف مشروع النقد الثقافي إلى كشف أساليب الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خفية، ومن خلال هذه الأساليب الجمالية، تُمرر أخطر الأنساق وأكثرها سيطرة فنياً في النصوص، لذلك يصبح كشف هذه الأساليب مشروعاً محورياً في النقد الثقافي يتطلب ذلك مراقبة الأنساق ورفع الأقنعة عنها والبحث في بنائها العميقة لفهم الدلالات الضمنية من خلال الدلالات الصريحة الأولية المخزنة للجماليات، مما يستلزم من القارئ معرفة واسعة بثقافة الكاتب.

ينظر النقد الثقافي إلى النص الأدبي على أنه بنية جمالية مستقلة، تحمل أنساقاً رمزية تعكس بنى إجتماعية وتاريخية ومعرفية عميقة، لذلك فإن قراءة النص الشعري المعاصر في هذا الإطار، تستدعي تأويل شفراته ومضمراته النسقية كواقعة جمالية ثقافية، يتداخل فيها الواقعي بالمتخيل، وتندمج فيها الذات الإنسانية مع واقعها الاجتماعي وتجربتها الثقافية، والأمر ليساً هيناً؛ لأن الباحث يضع في الحسبان أن ثمة أنساقاً مضمرة يتضمنها الخطاب دون وعي من مبدعه متجاوزة البنيات النصية الواضحة، إلى التخفي وراء عناصر خطابية جزئية قد لا نولي اهتماماً بها على الإطلاق.

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن إشكالية جوهرية تتلخص في الأسئلة: ما أهم الأنساق الثقافية الواردة في المدونة؟ وما هي إنتماءاتها الرئيسية؟ وكيف تشكلت بنياتها في تلك الخطابات الشعرية؟ وقد اعتمدنا في هذا البحث على الاستقراء والتحليل، بالقراءة والكشف عن تلك البنيات الدلالية المضمرة، وساعدنا في ذلك المنهج البنوي الذي ينظر في عناصر الخطاب وبنياته المختلفة، وفي العلاقات التي تربط بعضها ببعض، في إطار الكشف عن صلتها بالخلفيات الثقافية الممكنة، كما استعنا كذلك بعنصر التأويل، لاسيما وأن الشعر المعاصر مفتوح على تعدد الدلالات، لما يحمله من غموض.

2- مفهوم النسق الثقافي وفق مقاربة بعض المناهج النقدية:

استطاع الشاعر الجزائري المعاصر أن يقدم رؤية للواقع انطلاقاً من الثقافة وما تحمله من مضمرات ودلالات مبنية على أنساق ثقافية، وقد ساهمت هذه الأنساق بدورها في بناء النص الشعري عبر رسائل خفية وحمولات فكرية، سواء كانت واعية أو غير واعية، تتوارى خلف أقنعة الجمالية اللغوية والبلاغة وجمالياتها. ونظراً لاختلاف المرجعيات الفكرية وتعدد المقاربات حسب كل منهج نقدي، يتضح أنه لا يمكن تحديد مفهوم عام وشامل للنسق الثقافي، فتعددت مفاهيمه بتعدد المناهج النقدية؛ حيث نجد أن الباحث "تالكوت بارسونز" يرى أن النسق الثقافي: "هو نظام ينطوي على أفراد فاعلين، تتحدد علاقاتهم بمواقفهم وأدوارهم التي تتبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافياً في إطار هذا النسق وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي" (عليما ت. ي.، جماليات التحليل الثقافي-الشعر الجاهلي نموذجاً، 2003، صفحة 40) يعتمد النسق الثقافي على نظام ينشأ ويتكون من أفراد داخل المجتمع، يمثلون المواقف والرموز الراسخة المستمدة من الثقافة السائدة، وبالتالي يتشكل النسق الثقافي وفق ما تملّيه مواقف الأفراد في بيئتهم الاجتماعية، والتي بدورها تحمل كل المواقف والرموز الثقافية.

بينما يذهب عبد الله الغدامي إلى أن النسق الثقافي "يتحدد عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب، أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضاً وناسخاً للظاهر، ويكون ذلك في نص واحد" (الغدامي، النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية، 2005، صفحة 77)، فيركز الغدامي في مشروعه لنقد الثقافة على الجانب الوظيفي للنسق الثقافي وذلك من خلال كشف حيل الثقافة وما تتضمنه من أنساق مضمرة تتواجد داخل البنى النصية، وعند محاولة إستكشاف هذه الأنساق نجدها تمتد إلى أعماق الذهن الاجتماعي والثقافي للجمهور، خاصة عندما يحظى النص بقبول جماهيري أوسع.

أما السيميائية، فإنها تفسر النسق الثقافي من خلال تفكيكه تاريخياً و أنثروبولوجياً لكشف مدلوله الحقيقي، وبذلك تسعى إلى النحت في "أفق الثقافة باعتبارها نسق أنساق العلامات، بحيث يصبح داخلها مدلول دال يدل على مدلول جديد، كيفما كانت طبيعة النسق (كلام، موضوع، سلع، أفكار، قيم...) والتي يتم بها تفكيك النسق داخل ظروف تاريخية و أنثروبولوجية بعينها" (إيكو أ.، العلامة - تحليل المفهوم وتاريخه، 2010، صفحة 177).

ويرى محمد مفتاح أن مفهوم النسق الثقافي يجب أن يستند "إلى تحليل عناصر كل بنية وكشف خصائصها باستخدام القوانين التي تحكمها، للتوصل إلى كشف نظام العناصر وانتظامها وإعطاء كل عنصر مرتبته ودرجته ضمن النسق العام (ينظر أ.، 2007، صفحة 143)" يعكس هذا المفهوم أن النسق الثقافي يتواجد داخل بنية تنتظم مع بنيات أخرى ترتبط بها ضمن علاقات معينة، مما يستدعي من القارئ أن يقوم بعزل هذه العناصر ليتضح النسق بشكل أفضل.

أما الناقد "عبد الفتاح كليطو" فيرى بأن النسق الثقافي: "عبارة عن مواضع اجتماعية دينية أخلاقية إستيقية... تفرضها في لحظة معينة من منظور الوضعية الاجتماعية التي تقبلها المؤلف وجمهوره" (كليطو، 2001، صفحة 08) فيقوم المجتمع بصناعة أنساقه الثقافية المختلفة، بينما يعمل الكاتب على تسريب هذه الأنساق داخل البنى النصية المتعددة.

وترى البنيوية التكوينية من خلال "غولدمان" (goldmann) أن النسق الثقافي: "يتألف من بنية أو سلسلة من البنى الصغيرة التي تدرج تحت بنية أخرى أوسع، يمكن ترتيبها لتشكيل مجموع البنية، وبالتالي تشكل نسق، على أن تضمن البنيات ضرباً من الاستمرار أو المحافظة على الذات" فيحتكم السلوك الإنساني إلى سلطة الجماعة، فنشاط الذات هو عبارة عن منتج للتطور التاريخي الذي يشمل العالمين الطبيعي والاجتماعي.

و يؤكد غولدمان أنه يتعين على "السلوك الإنساني أن يعبر عن بنية دالة تنتمي لا إلى الفرد، بل إلى المجموعة أو إلى الطبقة التي يمثلها هذا السلوك، إن التفاعل بين الذات والموضوع مصوغة بصورة في منتهى الدقة". (آخرون، 1984، صفحة 51) وبالتالي فإن تفاعل الذات مع الموضوع يفرض من خلال البنية الرئيسية التي يتفاعل داخلها النشاط الإنساني مع قيم المجموعة و نتائجها.

وبناء على ما تم تقديمه من المفاهيم السابقة، يمكن القول إن الأنساق الثقافية هي أنساق أنتجتها الثقافة، وتتميز بقدرتها على التخفي داخل النصوص بطرق مختلفة، كما تقوم تلك الأنساق بدور مهم في توجيه الثقافة وتوزيع مساراتها داخل النصوص وفق مناحي فكرية وجمالية متنوعة.

3- خاصية النسق المضمّر داخل البنى النصية :

من الطبيعي أن يمتلك النسق المضمّر خصائص متعددة، يتنوع حسب موقعه داخل البنى النصية. يتميز النسق دوماً "بقدرته على الانفلات والبناء/إعادة البناء والتمايز والتحويل والتوليد، فهو بطبيعة الحال نسق عابر للمرجعيات المتعددة الخطاب" (عليّات ي.، النقد النسقي - تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، 2015، صفحة 21)، ونظراً لشدة تعقيد النسق المضمّر وتشظياته داخل البنى النصية، يصاحب هذا النسق توالد أنساق أخرى تكون متداخلة أحياناً فيما بينها، مما يعمق شبكة البنى النصية وعند محاولة تحديد النسق المضمّر بدقة والإشارة إليه بسهولة، ينفلت و يتماهى مع أنساق أخرى داخل النص الواحد، كما أن "النسق يمارس فاعليته في بنية النص الشعري بوصفه نظاماً علائقياً فوقياً متعالياً محملاً بمرجعيات ثقافية وإيديولوجية وأطر معرفية جمعية"

(عليّات ي.، جماليات التحليل الثقافي - الشعر الجاهلي نموذجاً، 2003، صفحة 44) يصاحب التوظيف الجمالي للغة الشعرية إثارة للمرجعيات الثقافية، التي من خلالها يتشكل النسق المضمّر عبر إدخال شفرات نسقية داخل النص لتوجيه الدلالة وتعميقها.

يصبح النسق الثقافي في الخطاب الشعري "علامة ثقافية لازمة نرى آثارها على مجمل السلوكات والتعاملات الاجتماعية وحتى الفكرية، بسبب هيمنة هذا النسق وباعتباره قد صبغ الأنساق الثقافية بصبغته ذات الظاهر الفني الجمالي والمحايد ليتغلغل بعدها في الخطاب الشعري غير مراقب ولا مكشوف" (ينظر ع.، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، 2005، صفحة 165)، وبهذا يكتسب النسق المضمّر الهيمنة من خلال لعبة التخفي وراء الجمالي والبلاغي داخل البنى النسقية، ليحتوي كل معطيات الثقافة الاجتماعية والفكرية داخل النص وخارجه.

ولعل الثقافة واللغة تشكلان فضاء يتغذى منه النسق وفق نظم يتشكل عبرها وأدوات يشتغل عليها وظروف يسير وفقها، فأحياناً تتكرر بعض القيم الذهنية من خلال عامل اللغة، ليُعاد إنتاجها مرة أخرى كنسق أعيد إنتاجه بكل صفاته وعيوبه مثل الشاعر الحداثي "أدونيس" الذي يعيد إنتاج صفة الفحل وعيوبه من خلال إلغاء الآخر، حيث يتجسد في صورة الطاغية كما يتجلى في كل من الثقافة القديمة والحديثة، لتتحرك الثقافة على مستويات مختلفة، فتتشكل أصول راسخة تقبع في المضمّر العميق، وتجعلنا سجناء للنسق وهذه الأصول قديمة قدم اللغة ذاتها، وبالتالي تقوم بتكرار وإعادة تمثيل القيم الذهنية المترسخة في اللغة دون أن نعي ذلك" (ينظر ع.، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، 2005، صفحة 86).

ويعتمد النسق المضمّر أثناء تشكله وبناءه مسالك حرة ذات وظائف نوعية داخل البنى النسقية من خلال الامتداد لمجموعة من الأفكار التي تشكلت عبر تاريخ وحقبة زمنية معينة، قد تم تداولها بين أفراد المجتمع وفق وعي جمعي مشبع بالقيم والأفكار، وهذا ما تشير إليه كاترين بالسي (belscy cathrine) بقولها: "إن الأنساق المضمّرة تملك تاريخاً من الأفكار، إنها الأفكار التي تفهم وتدرّك بوصفها ممارسات مولدة" (عليّات ي.، النقد النسقي - تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، 2015، صفحة 22).

يتطلب الكشف عن النسق المضمّر ضرورة قراءة النص داخل سياقه التاريخي والثقافي، لأن "النصوص تتضمن في بنائها العميقة أنساقاً مضمّرة ومخاتلة قادرة على التمتع، ولا يمكن كشف دلالاتها النامية في النص إلا من خلال تحديد طبيعة البنى الثقافية للمجتمع، لتسهيل عملية فك شفرات المحتملات النسقية وتأويلها ثقافياً" (ينظر ي.، 2015، صفحة 21)، لأن النسق المضمّر يمتلك صبغة نسقية مشفرة، فيشع بدلالات متعددة وكثيفة داخل النص، لذلك نجد القارئ يجد صعوبة في التفاعل معه، حين يبدأ في تأويل وتفسير مضمّراته الموزعة عبر فضاءات النص.

ومن كل ما سبق ذكره يمكن القول، إن خاصية النسق المضمّر داخل البنى النصية متعددة ومتنوعة، منها ما يتأثر بالسياق الثقافي والتاريخي الذي نشأ فيه النص الإبداعي، ومنها بالإمكانات والطاقات التي يبتها المبدع

لبناء أنساق ثقافية تحت القوالب اللغوية والبلاغية و الفضاءات الجمالية داخل النص، وتؤدي هذه العناصر إلى التأويلات والقراءات التي تشكل محور تفاعل القارئ مع نصه.

4- علاقة النسق بالثقافة تفاعلا وانسجاما وتحولا وتكاملا:

من الطبيعي أن يتحد النسق بالثقافة، خاصة وأن الثقافة تشمل النظم الاجتماعية والدينية والتاريخية والثقافية، ترتبط هذه النظم بشكل وثيق بتشكيل الخطابات الإبداعية، مما يجعل النسق لصيقاً بها حيث يتفاعل معها وينسجم مع تحولاتها وتشكلاتها، متأثراً بمميزاتها وخصائصها، ومحققاً مرونة معها، كما يتكئ النسق على كل المرجعيات التي تحيط بجوانب الثقافة في مختلف الزوايا والمعاليم.

وتتحدد "علاقة النسق بالثقافة ليس فقط في كونه يمثل مجموع القيم في مجتمع معين وزمن محدد، بل أيضاً تتعلق أيضاً في تفاعلات القيم الثقافية المتعددة المنابع فيما بينها، مما ينتج أفقا ثقافياً شاملاً."

(راضي، الأنساق الثقافية في كتاب تزيين الأسواق في أخبار العشاق لداود الأنطاكي، 2023، صفحة 11)، ويقصد بهذا المفهوم أن الثقافة تعتبر بنية كلية شاملة تحمل في طياتها الفكر الاجتماعي وجميع القيم الدينية والتاريخية و كل العادات و المسموحات التي من شأنها تغذي النسق، مما يجعله رافداً من روافد هذه الثقافة وهذا ما يجعله مرتبطاً في سيرورته بمعطيات كانت محل تفاعل بين اللغة والثقافة، لتشكيل آفاق مرجعية متنوعة تساهم في تحريك الأفعال الفردية داخل الجماعات التي تشترك في أنشطة معينة ووفق علاقات مختلفة متجددة.

وما يمكن ملاحظته أن الأنساق تتعالق فيما بينها داخل النصوص، حيث تستمد الأنساق الثانوية فاعليتها من النسق العام، وتُظهر هذه التعالقات روابط تتوزع وفق مفاتيح تتيحها عناصر الثقافة. فعندما "نعوص في عمق النص ونكشف عن أنساقه المعلنة والخفية ومدى الترابط بينهما وبين نسقها الرئيس يُظهر أن الأنساق الثانوية لا بد أن تتحد من منبع واحد يمثل النسق الثقافي الذي يمارس سطوته وسلطته على القارئ، مما يحدث تغييراً في ذهنيته، وتعدّياً في سلوكياته، وتأثيراً أخلاقياً وإنسانياً يمكن أن يُحدد ثقافته وعلاقته بذاته وبالأخر، القريب أو البعيد، ضمن ثنائية التأثير والتأثر" (راضي، رسالة ماجستير، 2023، صفحة 67).

وعموماً يرتبط النسق بعناصر الثقافة ارتباطاً وثيقاً وبشئ الطرق، مما يؤسس فضاءه بعيداً عن النص من خلال رموز ومرجعيات وبنيات متماسكة، بعض هذه العناصر تخضع للسياق التاريخي والاجتماعي ومنها ما يترجمه الوعي الجمعي داخل البنى النصية، ولذا يتم رصد التحولات التي طرأت على الأنساق الأدبية نتيجة انتقالها من إطارها الثقافي العام إلى سياقها الخطابي الخاص، ويظل النسق قابلاً للتحويل؛ إذ يمكن أن يكون معطى أولياً، كما تزعم البنيوية الصورية، أو أن يحدده الوعي الجمعي كما تشير البنيوية التكوينية، أو يساهم القارئ أو المتلقي في بنائه وتشبيده" (ينظر ع.، 2010، صفحة 143).

كما يمكن الإشارة إلى قضية أخرى تتمثل في علاقة النسقين الثقافي والشعري وعملية استبدال الأفكار بينهما، إذ لا يتحرك النسق الشعري وفق علاقات ثقافية فحسب، بل يعيد استعمالها داخل البنى النصية بصياغات تعبيرية واضحة، فيصبح النسق الثقافي " ترجمة لنشاط اجتماعي في قالب أدبي/خطاب يقوم به الفرد عن وعي أو بدون وعي" (يوسف ع.، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة - فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، 2010، صفحة 146).

5- الأنساق الثقافية المضمرة والدلالات النسقية الثقافية في ديوان عياش يحيوي :

1-5- نسق الدين :

يعتبر الدين ركيزة أساسية في الحياة الإنسانية، إذ يُشكل معتقدات الأفراد ويوجه سلوكياتهم، ويمنحهم شعوراً عميقاً بأن للحياة معنى. ويُعتبر الشاعر "عياش يحيوي" من الأسماء البارزة في الشعر الجزائري، حيث ينتمي إلى بيئة دينية محافظة تستلهم تعاليمها من الدين، وتلتزم به كمنهجية تعكس مسار الحياة. ولا شك أن الدين له دور بارز سواء بشكل واع أو غير واع، في تشكيل الإنتاج الشعري لدى هذا الشاعر. " تشكل الثقافة الدينية الإسلامية بطبعها نسقاً ثقافياً شديداً الصلة بالتراث الديني، والشاعر بدوره يستلهم هذه القصة ليبني نسقه الثقافي الديني ويحول دلالاته بشاعرية فذة ويفرغها من روحها الديني لجعلها تحاكي واقع يومي يعيشه، ويجسد كل ما فيه من ذاتية " (عباس، الأنساق الثقافية في شعر موسى حوامدة، 2021، صفحة 226).

يعتمد الشاعر يحياوي في قصيدته المعنونة (إنخفافات الليلة الثالثة)، على قصة تفاحة آدم وما تضمنته من أحداث، ذكرت تفاصيلها في القرآن الكريم. تظهر هذه القصة بوضوح في شعره، حيث يستلهم منها مضامين تعكس القيم الإنسانية والأخلاقية لواقعه الاجتماعي والثقافي، يقول:

مثل الطيور قد امتلأت بالغناء
قبيل حلول الظلام أراني
أزوج للنجم وهمي وأنكر تفاحة الأرض
تشحن أرياحها بالعويل
أنام وتفزعني رغبتني في البكاء...
لعل البلاد التي سأعري مفاتها

تنزوج من كائن التي في الرماد (يحياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 07)

يتجلى التأثير العميق للثقافة الدينية للشاعر من خلال هذه الأبيات، حيث يستمد من النص القرآني رموزاً وقصصاً تعبيرية، مستخدماً إياها كدلالات في قوله: "وأنكر تفاحة الأرض"، وهذا يشير إلى الخطيئة الأولى التي ارتكبها آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة المحرمة، رغم علمه بأنه ذنب كبير يتعارض مع تعاليم خالقه.

يقوم الشاعر بإخراج المعنى الموجود في القصة القرآنية إلى دلالة مختلفة، فهو ينكر أن يبقى صامتاً، ويسعى إلى التحدث بشكل هادف كوسيلة نقدية بناءة موجهة نحو وطنه الذي يعاني من الصمت والخذلان، يُعبر الشاعر عن وعيه بما يحدث في بلاده، آملاً أن يجد صوته صدى لدى أهله لذا، يتحول النص القرآني الذي يتطلب الامتناع عن فعل الشيء إلى سياق يدعو للكلام، موضحاً أن السكوت يجب أن يُقاوم، حيث يمزج بين الرموز الجمالية التي تعبر عن حالته النفسية والشعورية، إلى جانب معاناة وطنه.

ثم يتدرج الشاعر في قصيدة (إنخفافات الليلة الثالثة) إلى توظيف رموز دينية أخرى، وهذه المرة يوظف ما جاء في السيرة النبوية وما حملته من مآثر في قوله:

شيدتني الخيام البعيدات...
قد نسيت ان تزلمني
فارتطمت بوهج الفجيلة واستوطننتني الوحوش
وريح البراري ..

أرى شجر الروح يصعد مثل عمود الظلام
ويرقيني الجن عبر الكوى والنوافذ

ألقي إلى الدود فاكهتي وانكساري (يحياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 09)

يعتبر هذا المقطع تجسيداً للجانب الثقافي المستلهم في الشخصية الجزائرية، التي تأثرت جراء الاستعمار الفرنسي وما فعلته الحداثة الغربية من إقصاء للعناصر الثقافية الأساسية الوطنية، يشير الشاعر إلى أن ثقافة الخيام (البادية) هي التي بنت الجزائر، بما تحمله من قيم الكرامة والعفة والقوة والنبيل والعون، هذه الأخلاق التي أحاطت بالشاعر وحمته من ضربات الزمن تشبه ما فعلته خديجة رضي الله عنها عندما احتوت النبي صلى الله عليه وسلم في بداية رحلته وتحمله لأعباء النبوة.

وكما اصطدم النبي صلى الله عليه وسلم بقريش عندما صدته عن استقبال الوحي، يجد الشاعر نفسه أمام الفجيلة والوحوش وريح البراري، وهي رموز لأنساق ثقافية دخيلة لا تنتمي إلى الواقع الجزائري الذي نشأ على فضائل أخلاق البادية، فتتجلى هذه الأنساق في تأثير الاستعمار والحداثة الغربية، إلى جانب الإنسان الجزائري الذي تقبل ثقافات غيره برغم أنها لا تتناسب مع هويته الأصلية، مما أدى إلى إنفصاله عن قيمه.

هذا ما عبّر عنه الأمير عبد القادر الجزائري في قصيدته "يا عاذراً لأمري قد هام في الحضر"، حيث يؤكد أن قيم البادية أفضل من قيم الحضر.

مرت الجزائر بلحظات تاريخية مفصلية تأرجحت قيمه بين الأصالة والتغريب، في هذا السياق، تُعد الإشارة إلى سيرة النبي وغطاؤه الروحي خير وسيلة لهذه الأمة التي تُختبر في أسس بقاءها. كما ذهب ابن خلدون إلى تفضيل البادية على الحضر، يقول: "أهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم قد تلوثت أنفسهم... وأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا أنه في المقدار الضروري" (ينظر ع.، 2006، صفحة 137)، فيقدم ابن خلدون تفسيراً لهذه التبعية الحضارية التي تعاني منها الشعوب المقهورة، بقوله: "إن المغلوب مولع دائماً بمحاكاة الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده" (خلدون، 2006، صفحة 159)، حيث يعتقد أن المغلوب يرى الكمال فيمن تغلب عليه وانقاد إليه، وقد أكد مالك بن نبي هذا المعنى بقوله "القابلية للاستعمار دلالة على الاستجابة النفسية الداخلية للفرد، الذي يقبل عن نفسه تلك الصبغة، حيث تنعكس في حركاته وأفكاره وحياته، وتسهم مباشرة في طمس المعالم الحضارية والثقافية" (ينظر م.، 1986، صفحة 152)، يدل هذا على أن الغرب يسعى إلى قتل الهويات الوطنية وتفريغها من محتواها.

وأخيراً، "فإن المعامل الاستعماري في الواقع يخدع الضعفاء، ويخلق في نفوسهم رهبة ووهماً، ويشلهم عن مواجهته بكل قوة، وإن هذا الوهم ليتعدى أثره إلى المستعمرين أنفسهم فيغريهم بالشعوب الضعيفة ويزين لهم احتلالهم، إذ يحاولون إطفاء نور النهار على الشعوب المتيقظة، ويدقون ساعات الليل عند غرة الفجر وفي منتصف النهار لترجع الشعوب إلى العبودية والنوم" (نبي، 1986، صفحة 151).

وعلى هذا الأساس، فإن ربط الشاعر معاني قصيدته بالدين "يلبي احتياجات الفرد على المستويين المعرفي والعاطفي، مما يمكنه من الوصول إلى عالم ثابت يمكن فهمه والتأثير فيه، والأهم أنه يساعد على الحفاظ على شعور داخلي بالأمان في مواجهة التغيرات الثقافية، كما يمكنه أن يؤدي وظائف اجتماعية ونفسية متنوعة" (ينظر ك.، 2009، صفحة 318)، وما حدث في الجزائر من استلاب وطمس للهوية، واستدعاء النسق الديني من قبل الشاعر، هو وسيلة فعالة لمقاومة هذا الغزو الثقافي. يحاول الشاعر أن ينوع في استخدامه للنسق الديني، حيث يختار قصة يوسف عليه السلام كإشارة رمزية، يقول:

على خنجر يتعزز آخر ظلي
ومن غربتي تتلون هذي البلاد
وظلي يسلمني لظلال أضاعت أبي ونعاجي
فخاصمني الذئب طفلاً

وهرولت في العمر من غير أب (يحياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 10)

يتعلق هذا المقطع الشعري بنسق ثقافي مهم، ألا وهو الهوية التي توحد الشعب الجزائري وتجمع شتاته من خلال وحدة اللغة والدين والعرق والحضارة "حيث تتحقق الهوية عندما يكون الإنسان متطابقاً مع ذاته، بينما يشعر بالاغتراب عندما يفتقد هذا التطابق" (حنفي، 2012، صفحة 48)، نتيجة هيمنة قيم الحداثة والاستلاب الحضاري السائد في المجتمع الجزائري.

إذن فغربة الشاعر تعكسها عبارته: "ومن غربتي تتلون هذه البلاد"، إذ يعبر عن صراعه الداخلي مستحضراً قصة يوسف عليه السلام، عندما غدره إخوته وألقوه في البئر. اتهموا الذئب بأنه هو من أكله، فما حدث لعائلة يوسف، من تشنّت وانقسام وفراق وفقد وحسرة، من هذا المنطلق، يجعل الشاعر من قصة يوسف تجسيداً لما يعانيه وطنه، إذ يدرك أن أبناء الوطن الواحد هم الذين يهددون بلدانهم من خلال النزاعات والانقسامات التي تعصف بهم، يعكس ذلك الصراعات الداخلية والخلافات التي تؤثر سلباً في مسيرة الوطن، فيعيش في وطن مسلوب من اللغة والثقافة والقيم، مما يجعله يشعر وكأنه يتيم بلا أب، موازياً لما حدث ليوسف عليه السلام.

يُدخل الشاعر يحياوي الأنساق الدينية في ديوانه بطريقة رمزية، ليعالج مختلف هموم وطنه، فيستخدم هذا النسق لتسليط الضوء على الأزمات والتحديات التي تواجه بلاده، وتقديم رؤى مستلهمة من القيم الدينية التي تعزز من فهمه لما يجري في وطنه وما يعانيه من أزمات، يقول في قصيدة (صلاة إلى سماء امرأة):

مارق ليس تكفيه كل السماوات
حتى يصبح بأعلى الذي يملك القلب
أنى أهد الذي أسس الرمل والوقت
من أجل أن أجلس الآن
في سدره العشق

يعبرني شارع من هواك.. (يحياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 14)
يمكن أن تكون الهوية الوطنية مصدراً للثراء والدفء والتقدم، ففي هذه الأبيات، يُجسد الشاعر حادثة
الإسراء والمعراج كوسيلة للتعبير عن الطموحات والآمال، تأتي القصة كدلالة نسقية ومحطة انطلاق للشاعر
ليعبّر عن ضيق الفضاء الذي يعيش فيه، حيث يجعل من الوصول إلى سدره المنتهى، التي بلغها النبي محمد
صلى الله عليه وسلم، هدفاً يسعى لتحقيقه.

يُعبّر الشاعر عن قساوة غربته الفكرية والثقافية، حتى يبدو أن الأرض قد ضاقت به رغم اتساعها،
ويشير إلى أن الوحدة الحقيقية للأمة تكمن في التمسك بالقيم الوطنية، وهي وحدها القادرة على جعل الوطن أكثر
اتساعاً، بدلاً من أن يضيق فضاؤه على أبنائه.

و من الأنساق الثقافية الدينية التي أدخلها الشاعر في هذا المقطع قصة الطوفان، فيقول:

أرى قارب المستحيل يهدهده الموج
لولا احتراقك ما هداً الموج أو هدهدا
يموت بأضلاعك الطافحات إشتعال الأغاني
وتنهك عنها النوارس
اخلع ضلوعك واصنع لك الفلك عاتية
ربما تلتقي والتي شطبت إسمها
خوف بطش القبائل
في جزر لم تطأها العيون
ولا السيف في سوحها الخضر جرد أو أغمدا
ولقياكما حوربت صورة

فكيف طموحك أن يتعري على شاطئها الندى..؟ (يحياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية،
2008، الصفحات 25-26)

يبدو من خلال هذا المقطع الشعري أن "يحياوي" يشير إلى دور المثقف، الذي يتمتع ببصيرة تمكنه من
رؤية ما يحدث في وطنه، يستدعي الشاعر هذا الدور باعتباره إنساناً مثقفاً، يمتلك الثقافة والخبرة اللازمة لفهم
احتياجات وطنه.

يُعتبر المثقف في العصر الحديث " فرداً له تأثير كبير في مجتمعه وعصره، بفضل قواه الفكرية
الخاصة ومواهبه الروحية والنفسية الفريدة" (الشاذلي، 1985، صفحة 08)، إنه يمتلك تكويناً ذاتياً ونشأة
خاصة، " كونه نشأ في مرحلة تاريخية محددة ويعيش واقعاً اجتماعياً وسياسياً معيناً، يتأثر بالمووروث الثقافي
لمجتمعه وأمته وعصره، كما يستجيب لما يجري في العالم الخارجي، ويمر بعدد من التجارب التي تساهم في
اكتسابه خبرات على مدار سنوات طويلة، تتراكم في ذاكرته مؤثرة في تنامي وعيه" (ينظر ح، 1997،
صفحة 286)، ومن أبرز صفات المثقف أنه "شخص متفرد قادر على قول كلمة الحق في مواجهة السلطة،
سريع الغضب، فصيح اللسان، وشجاع إلى درجة لا تُصدق، وثائر لا يرى أن هناك سلطة دنيوية أكبر أو أقوى
من أن ينتقدها ويوجه اللوم إليها" (سعيد، 2006، صفحة 24).

يمزج الشاعر بين النسق الديني ودوره كمثقف في توجيه الحياة العامة، متطلعا إلى تشكيل قارب نجا
ينقذه كما أنقذ الله نوحاً وقومه من الطوفان. ومن خلال مأساته وخيالاته وآماله، يسعى لحماية نفسه من ويلات
ما يحدث حوله. يرى أن للمستحيل خيوطاً متقطعة، وأن النصر هو حليف من يتعب ويلتزم بمبادئه ويتمسك
بصبره لتحقيق الهدف المنشود، مستندا إلى الإرادة والعزيمة لتغيير الوضع، وتشكل الأنساق الدينية مجموعة
معطيات وطقوس ومناسك وتجليات للفكرة الدينية، إذ يفرض الدين حضوره في العقل الجمعي العربي، ولم يكن

يوما شيئاً طارئاً أو هامشياً، بل هو قوة لها وجود يوازي وجود الإنسان في هذه الحياة، مما يربطه بالبنية الثقافية والنفسية والاجتماعية " (عباس، الأنساق الثقافية في شعر موسى حوامدة، 2021، صفحة 225). يمثل الدين قوة مؤثرة لا يمكن تجاهلها وله دور كبير في تشكيل الثقافة.

5-2- نسق البادية :

امتد نسق البادية إلى مجموعة من قصائد هذا الديوان، باعتباره يشكل هوية الشاعر ومتنفسه الذي يحيا به ويناضل من أجله، يقول في هذا المقطع:

وأسرح بالإبل الشاردات بروحي..

أقلب كل أثافي الديار

لعل البلاد التي سأعري مفاتها

تتزوج من كائناتي التي في الرماد (يحياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 07)

يوظف الشاعر في هذا المقطع رمزا من رموز البادية، وهو الإبل، ليشكل دلالات نسقية ورموزا تخيلية تُعبر عن صورة شعرية يُدركها القارئ في هذا النص. تعكس الإبل معاني البساطة والصبر والتحمل والنشاط والعمل. يسعى الشاعر إلى قلب أثافي الديار عسى أن يجد تحت الرماد ما تركه الأجداد من قيم تُنقذ بلاده التي تكافح من أجل البقاء في مواجهة أنساق ثقافية غريبة.

يُبرز الشاعر الثقافة العربية الأصيلة باعتبارها الملاذ الآمن لكل مشروع ثقافي وطني قادم، لما تحمله هذه الثقافة من قيم غنية تُشبع الفرد، وتجعل المجتمع متحصنا أمام تقلبات الزمن. كما يوظف الشاعر نسقا دينيا آخر في قوله:

وباعوا سهيل القرى بالكراسي

وداسوا دمي في النخيل

أصبح كبادية في القفار البعيدة

لا طرق تدعيها

ولا طير ينقر أبوابها أو رياح

سأعالج ما يتبقى من العمر بالصلصات (يحياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 11)

يتناول الشاعر نسقا ثقافيا آخر في إطار حبه لقيم البادية، التي تبدو وكأنها تستغيث من الإهمال في المقابل يلاحظ هيمنة قيم الحداثة في المدن الجزائرية، التي تعلي من شأن القيم المادية، مما يؤدي إلى تفتيت النسيج المجتمعي وانتشار الرذائل "مع حلول القرن العشرين، بدأ العلم يتحول إلى موضوع نقد، حيث حلت التكنولوجيا محل الإنسان وجردته من إنسانيته، مما جعله يُصنف كمواد وقطع غيار اصطناعية، بدلاً من خانة الطبيعة المفعمّة بالحياة" (ينظر ر.، 2010، صفحة 432)، يدرك الشاعر أن ما يدعو إليه هو ما يعزز تماسك مجتمعه وقوته، وهو واع أيضا بأن الدفاع عن هذه القيم قد يكلفه الفقر والنسيان، لكنه مصمم على المضي قدما في سعيه حتى ينتصر أو ينتهي عمره.

يستحضر الشاعر في هذا المقطع نسق البادية، ويشير إلى القيم والتقاليد التي تنبع من حياة البادية وتجسد روح المجتمع، يقول:

ياالبن القرى

ياشهم !

من أنساك حب القرية العزلاء

زيت الليل

والشهب التي في القلب

والحلم الذي أضحى هواك

أجهض الحلم؟

النخلة الصغرى التي في بيتكم

كبرت.. (يحياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 35)
من خلال تتبع سيرة الشاعر يحياوي في كتابه "لقبش": "سيرة ذاتية لحليب الطفولة"، يشير إلى أنه هاجر من قريته عين الخضراء منذ صغره إلى عدة مدن، مثل باتنة والعاصمة، تاركاً وراءه قريته، ونتيجة لذلك يظل يشعر دائماً بالحنين إليها، حيث تمثل علامة فارقة في حياته.
يدل هذا المقطع على الحياة البسيطة التي عاشها الشاعر في قريته المعزولة عن الشمال، الذي يعيش حياة تختلف تماماً عن حياته الفقيرة والبائسة، فلا يوجد في قريته لا ضوء ولا زيت، مما يعكس الواقع القاسي. يتساءل الشاعر عن أحلامه التي تحولت إلى خراب، وكيف تبددت عزيمته بلا جدوى، ومن فرط حبه لقريته، يتذكر تلك النخلة التي تركها صغيرة، والتي قد تعكس أيضاً الأصالة والقيم المتجذرة بين أبناء قريته، التي ما زالت على حالها. يظل نسق البادية موجود في عدة مقاطع شعرية من الديوان ومنها في قوله:

سأبني خيامي بشارعكم مثل فوضى دمي..

وأغني لحزنكم في ظلام البلاد

سأجمع كل ديوك القرى وأفرقها في الإدارات

أو في محطات من سجنوا غصصي بالرحيل

وابتلوني بحب الرصيف..

سأكون البداية بعد القيامة

أشرب من هوسي البحر

أركب راحلتي وأحيي القرى والكلاب

وذنب الكلام.. (يحياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة

(37)

المتأمل في المقطع الشعري يدرك التأثير العميق لنسق البادية في حياة الشاعر، إذ تشكل جزءاً كبيراً من تكوين شخصيته المكافحة، يُعبر الشاعر عن استعداده لتحدي أولئك الذين كانوا سبباً في انتقاله إلى المدينة، ملتزماً بقيم البادية مثل حب الخير والعيش بسلام وبساطة.

يتناول الشاعر مشكلة بلاده بصورة أعمق، مشيراً إلى أن من يديرون الإدارات وشؤون الحياة العامة ليسوا من أهل القرى الطيبين الذين يتحلون بالشجاعة والعدل والأخلاق، إنما هم من نشأوا في المدن التي تجردت من إنسانيتها والتحفت بالمادية المقيتة، ويؤكد أن الخلاص الوحيد للبلاد يكمن في العودة إلى أصالة وقيم البادية وبساطة عيشها، فاستطاع الشاعر بناء نسق ثقافي بطريقة معاصرة من خلال وصف حياة الإنسان في المدينة وما يصاحبها من غربة روحية وطغيان الحياة المادية بجشعها وتخليها عن القيم الإنسانية، هذا ما يجعل البادية الفضاء والمكان الحقيقي الذي تكتمل فيه حياة الطفولة وحياة الأمة، حيث تمتزج البراءة بنقاء القرية وصفاء هوائها.

5-3- النسق التاريخي الثوري :

حظي ديوان عياش يحياوي بأنساق تاريخية ثورية توحى بوطنية الشاعر ومدى تعلقه الكبير بهوموم أبناء وطنه ومشاركته في توثيق الأحداث وتصوير وقائع ثورة التحرير وتفاصيلها، من خلال نشر الوعي الوطني والحس الثوري والدعوة إلى تحقيق الوحدة واللحمة الوطنية بين أبناء الوطن، فقد أبدع الشاعر في تشكيل شعره من خلال تجربته ومدى فهمه للتاريخ الجزائري والأحداث التي وقعت خلال مقاومة المستعمر، ليعبر عن ذلك بقوله:

سأعالج ما تبقى من العمر بالصلعكات

وتحت الجسور أشيد دولة من عشقوا

ثم ماتوا فرادى

أصبح بما في دمي من نهار أخير

وأتلو التعاويذ

أحمل نافذتي وأجول بها في العواصم
على جدار أصادفه قائماً
أتوسم فيه البراءة
أرشق نافذتي في مخاوفه
ثم أنسج من حشرجاتي الشراعا

وداعا...وداعا (يحيياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، الصفحات 11-12)
في هذا المقطع، يصف الشاعر النضال الثوري الجزائري والأبطال الشهداء الذين سقطوا في معارك الشرف، لا يزال الشاعر " تحت الجسور "، مما يشير إلى واقع اجتماعي مهمش، يسعى من خلاله لإنشاء وطن جديد ينفذه من الفوضى والضياع، تعكس هذه الصورة شعوراً بالانفصال عن الهوية الثقافية الثورية، وتمرداً على المكان الذي ينتمي إليه، مما يدفعه للبحث عن الأمل في الفن كسبيل لخلاصه.
يقرأ الشاعر من التعاويذ ما يحصن به نفسه وأمته، ويُعبر عن تأزم الوضع، خاصة بعد فقدانه من كانوا نبراساً في حياته ، يبنى نسقه التاريخي الثوري من خلال المفردات التالية: (سأعالج، أصيح، وأتلو، أحمل، أتوسم، أرشق، ثم أتوسل) ، تحمل هذه المفردات في دلالاتها معاني المبادرة والصمود والرغبة في التغيير والانتفاضة من أجل حماية الوطن من كل الآفات والنكبات، فهي أمانة الشهداء وواجبنا نحو الوطن العزيز الذي ضحى من أجله الآباء والأجداد، ليعم فيه الأمن والحرية.

ولعل ما يُبرز وطنية الشاعر هو أنه ينتمي إلى عائلة ثورية، " فقد دخل دار الطفولة لأبناء الشهداء التابعة لوزارة الشبيبة والرياضة سنة 1964م، يذكر أول يوم له في الدار حيث التقى بأطفال آخرين أبناء شهداء، كانوا يعتقدون أنهم اجتمعوا في ذلك المكان ليصبحوا جنوداً مثل جنود جيش التحرير الوطني. حتى إذا عادت فرنسا، طردوها وماتوا شهداء، كانوا يؤمنون أن الأطفال يكبرون ليصبحوا شهداء " (يحيياوي، لقيش - سيرة ذاتية لحليب الطفولة، 2016، صفحة 98) فكانت الثورة عنصراً أساسياً في حياتهم، ونسقا ثقافياً يتدفق في عروقهم.

ليمر الشاعر لنسق ثوري آخر ، فيقول:

كانت تحدثني وفوق شفاهها
نجم تصعلك في الظلام
حسبته في أول الأمر الفراشة
ثم قلت ومن تكون؟

وكننت بنيامين

كنت الحبل والنجم المقاتل والقتيل ومهرجانة
إفريقيا..

قمر تكسر غربتين

وأنت بنيامين

عوسجها المحاصر بالزرد

يا شاعراً عبر القصيدة مرتين

وراح يكبر في الضمير

إلى الأبد.. (يحيياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، الصفحات 48-49)

استخدم الشاعر في هذا المقطع شخصية رمزية لبناء نسقه التاريخي الثوري، وهي شخصية "مولويز بنيامين، الشاعر الذي حكمت عليه السلطات العنصرية في جنوب إفريقيا بالإعدام سنة 1985م بتهمة مناهضة الحكم العنصري" (يحيياوي، الديوان - ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 49)، هذا الشاعر المناضل يقدم نفسه فداء لوطنه، ورغم أن الشاعر يحيياوي لم يلتق به في الجزائر أو هافانا، ولم تجمعهما الأسفار، إلا أنه احتضن روح هذا الشاعر وشعر برابطة عميقة ومتينة. كيف لا يرتبط به، والشاعر يحيياوي هو ابن عائلة ثورية، يهفو قلبه إلى كل من يحمل لواء الحرية والمقاومة.
لينتقل الشاعر في مقطع آخر ويعرض قضية جديدة تتعدى من نسق ثوري، فيقول:

تنقر بابي الخفافيش
والجن ترقبني من ثقب النوافذ
أسمع قهقهة في الظلام
ويهرب مني حدائي (يحياوي، الديوان - مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 60)
في هذه الأبيات، يتناول الشاعر أولئك الذين يشكون في قيم وتراث الثورة، ويعبر عنهم بألفاظ مثل
"الخفافيش" و"الجن" و"القهقهة". تُعتبر هذه الرموز تجسيدا للظلام وأعداء النور والخديعة، حيث يراقب
هؤلاء الأفراد حركة الشاعر بهدف استنزاف قواه والتأمر عليه، بهدف تكميم فمه ودفعه للهروب من بلده.
ويقول في مقطع آخر:
أكون أنا. لو أكون
وطناً داهمته رياح البحار
وأبناءؤه يحرثون المراثي
ويحكون عن نملة كذبت في النهار (يحياوي، الديوان مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 67)

في هذا المقطع، يؤكد الشاعر أن الجزائر تواصل تقدمها نحو المستقبل بعد أن انتزعت استقلالها من
الاستعمار يستخدم الشاعر التركيب "وطنا داهمته رياح البحار" تعبيراً عن التدخلات الخارجية التي تعصف
بالبلاد، وبما أن
وطنية الشاعر ثابتة ومتأصلة في أعماق قلبه، يسعى للتنبية إلى الأخطار الخارجية ليؤسس لنسق ثقافي
آخر، يظهر فيه أن هناك العديد من أبناء هذا الوطن يشاركونه وطنيته، أو ربما يتجاوزونها حباً لوطنهم،
فالنخوة والعزيمة لا تزول، بل هي مغروسة في قلوب جميع أبناء هذا الوطن المفدى، تُبرز هذه الأبيات أهمية
الوعي بتراث الوطن والثقافة كمصدر للتغيير والصمود.
وفي آخر مقطع من قصيدة (ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية) للشاعر عياش يحياوي، يقول:
أريد وطناً، انقرض فيه الشيوخ وجذور البلوط لأمشي عارياً كالهواء
أريد بشراً، أقتلع عيونهم لأمارس مع طفلة الجيران لعبة الكويرات
أريد ورقة، لأحرقها واكتب بالنمل حروف كلماتي
أريد رصاصة تخجل من دموع أمي وتشن حرباً على الزناد
أريد جيشاً يحرسني حتى لا أفنى حين تخلع حبيبتني شالها
أريد طريقاً واحداً إلى بيتي، وطريقاً مزعومة إلى باب حبيبتني
أريد أشجاراً، تكفني بأوراقها، وتحمل نعشي أغصانها لأولد مع الربيع القادم
أريد صوت الريح، يطرد فراغ غرفتي، فقد تعبت من الصمت الثرثار
أريد أن أفهم، وراء من تجري خفقات القلب، لاشك أن سارقاً مر من هنا (يحياوي، الديوان - مايراه القلب
الحافي في زمن الأحذية، 2008، صفحة 84)

ختم الشاعر ديوانه بنسق ثوري تاريخي يجسد كل أحلامه وآماله تجاه قضية التحرر والاستقلال، ورد كيد
المستعمر الغاشم، وقد ركز في هذا المقطع على عنصرين هامين؛ الأول هو المسؤولية الكبيرة التي يتحملها
الشاعر في الدفاع عن وطنه بكل الطرق، وعدم الاستسلام لمكائد المستعمر، أما العنصر الثاني، فهو حاجة
المثقف إلى إيديولوجيا وأفكار يدافع عنها بالنظر إلى الشاعر، يُعتبر المثقف حلقة مهمة في استمرار الوعي
القومي ونشره، وهو مركز الاستجابة لكل هموم الوطن وما يواجهه من مكائد ونكبات، المثقف هو الجبهة
القوية القادرة على مواجهة كل المصائب، من خلال سرعته في استيعاب الأفكار النيرة التي تفتح الطريق وتزيل
كل النكبات التي تعصف بالوطن .

6- الخاتمة :

تأتي أهمية هذا البحث في إعادة قراءة تلك الخطابات الأدبية من منظور ثقافي، واستنتاج النصوص
للكشف عن المسكوت عنه بين السطور، وذلك للكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة وراء جماليات النصوص

الأدبية وبلاغتها، و يتم ذلك من خلال استخدام آليات النقد الثقافي، التي تجعل النصوص قابلة للتأويل، وقد توصل البحث إلى بعض الاستنتاجات وهي كالتالي :

استطاع الشاعر الجزائري عياش يحيائي من خلال تجربته الشعرية الانفتاح على الواقع والمتخيل، في إطار جمالي ثقافي تتناغم فيه الذات الإنسانية مع واقعها الاجتماعي وتجربتها الثقافية. عبّرت قصائد الشاعر عن حالة فردية في سياق ثقافي واجتماعي، تجسد من خلالها وعيه تجاه وطنه وقضايا المحلية وهويته الجمعية.

يُعتبر توظيف الأنساق الثقافية في الشعر الجزائري فعل مقاومة، سواء في تفكيك السلطة الرمزية أو فضح التمثيلات الطبقية، أو إعادة الاعتبار للمهمشين.

تم تحليل الأنساق الثقافية المضمرة والمتحركة والمتحولة في ديوان عياش يحيائي، وكشف النقاب عن ثلاثة أنساق ثقافية: النسق الديني، ونسق البادية، والنسق التاريخي الثوري.

من خلال قراءة الأنساق الثقافية الظاهرة والمضمرة، يتبين أن الشاعر لا يستحضر هذه الأنساق بشكل عفوي، بل يسعى لتجسيد معاني تخدم ما يريد توصيله إلى المتلقي.

جاء النسق الديني بدلالات جديدة تستمد من الموروث الديني لتستشف حالة الوطن ونفسية الأفراد، كما يحرص الشاعر على استحضار نسق البادية، باعتباره الأساس الذي يناضل من أجله، ويحث مجتمعه على استلهاهم قيمها، أما بخصوص النسق الثوري، فإنه يسعى لكشف زيف من يُعادون هذا الوطن وردع من تسول له نفسه إلحاق الضرر به.

7- قائمة المراجع:

- 1- إدوارد سعيد. (2006). المثقف والسلطة. (محمد عناني، المترجمون) القاهرة، مصر: رؤية للنشر والتوزيع.
- 2- أحمد يوسف. (2007). القراءة النسقية - سلطة البنية و وهم المحايثة (المجلد 1). الجزائر، الجزائر: منشورات الاختلاف.
- 3- أمبرتو إيكو. (2010). العلامة - تحليل المفهوم وتاريخه (المجلد 2). (سعيد بن كراد، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- 4- جاسم محمد عباس. (2021). الأنساق الثقافية في شعر موسى حوامدة. مجلة الجامعة العراقية - جامعة الأنبار - كلية الآداب (مجلد 29 عدد 49 جزء 2)، الصفحات 224-243.
- 5- حسن حنفي. (2012). الهوية (المجلد 1). القاهرة، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
- 6- حسين عيد. (1997). المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة. مجلة عالم الفكر ، الصفحات 283-323.
- 7- ريتشارد تارناس. (2010). آلام العقل الغربي (المجلد 1). (فاضل جتكر، المترجمون) السعودية، السعودية: العبيكات.
- 8- ضياء الكعبي. (2005). السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل. البحرين: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 9- عبد الرحمان ابن خلدون. (2006). المقدمة (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 10- عبد السلام محمد الشاذلي. (1985). شخصية المثقف في الرواية العربية (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع.
- 11- عبد الفتاح أحمد يوسف. (2010). لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة - فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة (المجلد 1). الجزائر، الجزائر: منشورات الاختلاف.
- 12- عبد الفتاح كليطو. (2001). المقامات - السرد والأنساق الثقافية العربية (المجلد 2). (عبد الكبير الشرقاوي، المترجمون) المغرب، المغرب: دار توبوقال للنشر.
- 13- عبد الله الغدامي (2005). النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية (المجلد 3). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

- 14- عياش يحيى. (2008). الديوان - مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية (المجلد 2). أبو ظبي، الامارات: دار الفجر.
- 15- عياش يحيى. (2016). لقبش - سيرة ذاتية لحليب الطفولة (المجلد 3). الجزائر: الديوان.
- 16- غولدمان وآخرون. (1984). البنيوية التكوينية (المجلد 2). (محمد سبيلا، المترجمون) بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- 17- كليفورد غيرتز (2009). تأويل الثقافات (المجلد 1). (محمد بدوي -مقالات مختارة، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
- 18- مالك بن نبي. (1986). مشكلات الحضارة - شروط النهضة (المجلد 3). (عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، المترجمون) دمشق، سوريا: دار الفكر.
- 19- هدى سمير عبد الحسين راضي. (2023). رسالة ماجستير. الأنساق الثقافية في كتاب تزيين الأسواق في أخبار العشاق لداوود الأنطاكي . العراق: جامعة المثنى - كلية التربية للعلوم الانسانية.
- 20- يوسف عليمات. (2003). جماليات التحليل الثقافي-الشعر الجاهلي نموذجاً (المجلد 1). الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 21- يوسف عليمات. (2015). النقد النسقي - تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي (المجلد 1). عمان، الأردن: وزارة الثقافة الأهلية عمان.